



من أشكال التراث الشفوي في منطقة ترارة - الأمثال الشعبية أنموذجاً -

Oral patrimony forms in the TARARA region - the popular proverb as a modal -

جمال الدين بابا^{1*} ؛ محمد أمين عميرات²

¹ المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ (الجزائر).
البريد الالكتروني: babadjamel94@gmail.com

² المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الانسان والتاريخ (الجزائر).
البريدي الالكتروني: aminesocio82@yahoo.fr

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإيداع
2023/06/01	2023/03/23	2022/12/10

الملخص: يهدف هذا البحث إلى دراسة الأمثال الشعبية في منطقة ترارة (شمال غرب تلمسان) التي تزخر بتراث ثقافي متنوع يمتاز بشفويته وعفويته، هذه الرسالة الشفوية ظلت ولقرون عديدة الشكل المفضل للاتصال في المجتمع التقليدي، حيث كان للذاكرة دور مهم في التواصل وحفظ هذا الأدب من الضياع.

باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، تم التطرق إلى الأمثال الشعبية المتداولة في المنطقة، وما تحمله من سلوكيات اجتماعية، وخبرات اقتصادية وثقافية، وكذلك ما تصوّره لنا هذه الأمثال من علاقات اجتماعية متنوعة مثل: السعادة والزواج والشقاء وغيره، كل هذه العوامل ساعدت في تكوين مخزون ثقافي متميز لمجتمع ترارة. وقد خلصنا في الأخير إلى أن الأمثال الشعبية جزء من الموروث الشفهي بما أنها مرآة عاكسة لمختلف تجارب الأفراد في المجتمع، كما تعدّ كنزاً من التجارب الإنسانية التي تهدف إلى الإرشاد والتوجيه، ونقل تجارب السابقين إلى الخلف.

الكلمات المفتاحية: تراث؛ ثقافة؛ شفوي؛ أمثال شعبية؛ ترارة

Abstract: The purpose of this research is to investigate popular proverbs in the TRARA region (northwest of Tlemcen) which has a diversified cultural history distinguished by its orality and spontaneity, this oral message has long been the favored

means of communication in traditional society, where memory played a crucial role in communication and in preventing the loss of this literature.,

Using a descriptive-analytic approach, common proverbs in the region and the social behavior, economic and cultural experiences associated with them, and the various social relationships that these proverbs represent for us, such as: happiness, marriage, misery, etc., all these factors contributed the formation of a unique culture to the community of TRARA.

Therefore, we concluded that popular proverbs are part of the oral tradition since they represent the diverse experiences of individuals in society. They are also a rich store of human experiences aimed at guiding and directing, as well as transmitting past experiences to the successors.

Keywords: *patrimony; culture; Oral; Popular proverbs; TRARA*

مقدمة:

يعدّ التراث المرجعية التاريخية لبناء الهوية الثقافية للمجتمعات، فصار من الضروري الحفاظ على الجذور الحضارية والثقافية والثوابت أمام التحديات التي تفرضها العولمة والنظام العالمي الجديد، فالتراث الثقافي اللامادي، ليس شيئاً جامداً، بل هو نتاج لتجاوب الإنسان الجزائري مع محيطه الاجتماعي والثقافي. إنه باختصار، مجموع التقاليد والعادات المتوارثة جيلاً بعد جيل وهو من أشكال التعبير الشفوي والمرويات الصوتية والموسيقية والغنائية والأساطير والطقوس وفنون الطبخ واللباس، كما يتجسد في الفضاءات الثقافية المرتبطة بكل هذه النشاطات، وهو ما يسمح باستمرار الهوية الثقافية الشفهية والشعبية وتأكيد انتمائها إلى حضارات تاريخية متعاقبة.

من المفيد تأكيد أهمية التراث الثقافي اللامادي ودوره عبر العصور، في تشكيل الهوية الوطنية وإكسابها العناصر المميّزة التي تجعلها مختلفة عما سواها، دون أن تنغلق على ذاتها، بل لتظلّ منفتحة على باقي الثقافات والهويات الأخرى.

فالهوية الثقافية لشعب ما، ترتبط بالتنوع الثقافي ارتباطاً وطيداً، فكل هوية لا تكتمل إلا بالتنوع ولعل أبرز ما يميز الهوية الثقافية قدرتها على استيعاب التنوع الثقافي للشعوب، ووظيفتها التي تركز على جميع أفراد المجتمع من الثقافات المختلفة، لتبلور لهم في النهاية هوية ثقافية واحدة تجمعهم على الثوابت الدينية والوطنية.

فالتراث هو ذلك المخزون الواسع الذي يشمل جميع الجوانب المتعلقة بالإنسان، وهو مادة غنية وثريّة، تحمّل في طيّاتها كل ما هو مرتبط بالتجارب والمنجزات البشرية، كما أنه يُعبّر عن استمرارية ثقافية على مدى واسع في الزمان والمكان، وهو سجل حافل بممارسات ونشاطات وفعاليات الأجيال السابقة التي تركت بصماتها مع هذا التراث الذي نتلمّسه في الأزياء الشعبيّة والأغاني والتقاليد والأعراف، أو في الشّخص والنصوص الدّينية وقصص الأنبياء، أو في الأعمال الأدبية، أو في الأحداث التاريخيّة، وغيرها من مجالات الحياة المختلفة.

تأتي هذه الدراسة بناءً على القيمة المعرفية والتاريخية لتشكيل الهوية الوطنية لمواكبة الجهود المبذولة من مختلف الجهات والقطاعات ذات الاهتمام المشترك في هذا المضمار.

بناءً على ما سبق، يحاول البحث الإجابة على ما يلي: ما هي صورة المجتمع في الأمثال الشعبيّة، وكيف تتجلى رموزها ودلالاتها التي تعبّر عن خبرة المجتمع المحلي في مختلف المجالات؟

1. في مفهوم التراث، أنواعه وأقسامه

1.1 لغة:

جاءت معاني مصطلح "التراث" في معاجم اللغة العربية كالاتي: « وَرَثَ: الْوَارِثُ: صفة من صفات الله عزّ وجلّ، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، وأورثه الشيء أبوه، وهم ورثة فلان، وورثته توريثاً أي أدخله في ماله على ورثته وتوارثناه: ورثه بعضنا عن بعض قدماً، وأورث الميت وارثه ماله أي تركه له، والتراث: ما يُخلفه الرّجل لورثته» (ابن منظور، د.ت، صفحة 199-201)، فالتراث بهذه المعاني يدل على المتروك من قبل الآباء للأبناء من أموال، كما نستشفّ منه دلالة البقاء.

أما في معجم "مقاييس اللغة" فقد جاءت اللفظة للدلالة على «الورث والميراث: أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب» (ابن فارس، د.ت، صفحة 105)، وتختلف دلالة الموروث هنا عن الدلالة السابقة في كون هذا المفهوم لم يحدده في الأموال فقط، بل يطلق على كل شيء كان ملكا لقوم ثم صار ملكا لآخرين بحكم القرابة، أو بحكم الانتماء إلى منطقة واحدة، ليكون بذلك مجمل ما خلفه السابقون للاحقين من سنن ونظام حياة عاداتها وأعرافها وتقاليدها.

2.1 اصطلاحا :

يعد "التراث" من المصطلحات التي نالت حظها من الدراسة لدى الكثير من الباحثين، الذين حاولوا تقديم مفهوم جامع مانع لها، منها: أنه «ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات، وتجارب، وخبرات، وفنون، وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والإنساني، والسياسي، والتاريخي، والخلقي، ويوثق علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه» (جبور، 1984، صفحة 63)، فيصبح التراث بذلك مجموع ما وصل على مرّ العصور من إنتاج الأجيال السابقة، الذي يعدّ جزءاً لا يتجزأ من حياتهم اليومية؛ حيث يشمل معظم مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والتاريخية... الخ، كما أنه يؤدي دوراً كبيراً في تحقيق التواصل بين الماضي والحاضر، والذي هو تواصل إنساني بالدرجة الأولى بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والجماعة التي ينتمي إليها، ليكون التراث بهذا المفهوم «ظاهرة اجتماعية قادرة على تقديم تجارب وخبرات الأجيال السابقة في تعاملها مع مواقف الحياة اليومية» (عباس، 2009، صفحة 69)، وهنا لا يصبح التراث مرتبطاً بالماضي فقط بل بإمكانه الاستمرار في الحاضر وبنائه، والتطلع للمستقبل، وهذا لا يتحقق إلا بقراءة التراث قراءة واعية، وعليه فملاءمة التراث للواقع يعود أساساً إلى مدى وعي الناس وإدراكهم لمعطيات العصر، وكذلك توظيفه توظيفا إيجابيا بما يتماشى وأحداث الواقع، لأنّ «صلة التراث بالواقع هي

صلة توظيف وتنزيل، تنزيل التّراث إلى الواقع باعتباره نقلا عن الآباء والأجداد، مغروساً في ذواتنا، يمثل أحد عناصر هويتنا التاريخية والحضارية وذلك بعد إعادة صياغته وبناءه ثم تجاوزه لإنشاء تراث جديد في الواقع.

ويعني التّراث أيضاً: «الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي الرسمي والشعبي، اللغوي، وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب... بكل مقوماته الثقافية: كعلم الأدب والتاريخ واللغة والدين والجغرافيا... الخ، والاجتماعية: كالأخلاق والعادات والتقاليد، والمادية: كالعمران، بالإضافة إلى أنه يضم التراث الرسمي والشعبي والمكتوب والشفوي، واللغوي وغير اللغوي» (وتار، 2002، صفحة 22)، وهذا مفهوم شامل للتّراث، لأنه يشمل جميع مجالات الحياة، ولا يقتصر على جانب معين فقط، فهو: « ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد، والمشمتم على القيم الدّينية والتاريخية والحضارية والشعبية بما فيها من عادات وتقاليد سواء أكانت هذه القيم مدوّنة في كتب التّراث أو مبنوثة بين سطورها، أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن» (سيد علي، 2000، صفحة 40).

من خلال المفاهيم السابقة يمكن استنتاج أنّ التراث هو ذلك الكل الذي يشمل نتاج شعب أو جماعة عاشت في زمن مضى، أو هو خلاصة ما خلفته الأجيال السالفة للأجيال الحالية في جميع المجالات الأدبية والتاريخية والاجتماعية... الخ، وهذا ما تجسده النصوص الإبداعية، والبقايا الأثرية، والعادات والمعتقدات الشعبية، ومختلف الظواهر الثقافيّة التي تميّز مجتمع عن آخر، إنه بمثابة الخزانة الأمانة للأمة أو بطاقة الهوية الحضارية للمجتمع الإنساني، ومن هذا المنطلق لابد للشعوب أن تعي تراثها وتسعى إلى إحيائه وحمايته من الضياع والاندثار والنسيان خاصة في ظل تحديات العولمة والتطور التكنولوجي الكبير الذي يشهده العالم، على اعتبار أنّ الموروث يمثل مرجعية تحمل الكثير من الأبعاد التاريخيّة والنفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية لمرحلة زمنية معينة.

2. التراث الشعبي ومظاهره:

يشكل التراث الشعبي رافداً ثقافياً وإنسانياً لأي مجتمع من المجتمعات، فهو يعبر عن آمال الناس وطموحاتهم ومعتقداتهم، ويشمل جميع مظاهر الحياة الشعبية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وهذا طبيعي، لأن منبعه ومصدره هو الشعب، الذي يمثل «جميع أفراد الأمة سواء كانوا عمالاً أو فلاحين، أو رعاة، رجال أعمال أو جنود، محامين أو أساتذة جامعيين» (الجوهري، 2006، صفحة 26)، فالشعب هو عامة الناس الذين يشتركون في إنتاج التراث، وإن اختلف من فئة إلى أخرى، وبالتالي يصبح التراث الشعبي تعبيراً واقعياً عن الشعب بكل طبقاته وميولاته الثقافية، فهو «كل ما يتصل بالنتظيمات والممارسات الشعبية غير المكتوبة وغير المقننة والتي لا تستمد خاصية الجبر والإلزام من قوة القانون والدستور الرسمي للدولة أو السلطة السياسية وأجهزتها التنفيذية المباشرة بقدر ما تستمدّها مباشرة من خاصية الجبر والالتزام الاجتماعي غير المباشر، سواء ما يتصل منها بالعادات والأعراف والتقاليد والمعتقدات المتوارثة، أو ما قد تفرضه الظروف والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية المتغيرة، من نماذج جديدة لمظاهر السلوك الشعبي بمختلف أشكاله» (العودي، 1981، صفحة 19)؛ بمعنى أنّ الموروث الشعبي يمسّ جميع جوانب الحياة التي يعيشها الفرد والمجتمع، فهو لا يتوقف فقط على العادات وجميع المأثورات بل يتسع ليشمل الأقوال والأفعال والحركات.

يمثل التراث الشعبي أحد الروافد الأساسية للحفاظ على هوية أي أمة من الأمم، ومصدر اعتزازها بذاتيتها الحضارية في تاريخها وحاضرها، ولطالما كان التراث الثقافي للأمم منبعاً للإلهام ومصدراً حيويًا للإبداع المعاصر، ينهل منه فنانونها وأدباؤها، وشعراؤها، ويشكل التراث الشعبي اللامادي أحد الركائز الأساسية للذاكرة الحضارية والثقافية للأمة الجزائرية، فقد أسهم في الحفاظ على تماسكها ووحدتها في كل المراحل التاريخية الحرجة التي مر بها المجتمع الجزائري، وبهذا فإن عملية جمعه تعد عملاً

اجتماعيا يتطلب مهارة جيدة في العلاقات الإنسانية من ناحية الباحث، كما تعد أيضا عملا علميا يتطلب مهارة ومعرفة منهجية يجب أن تتوفر فيه من أجل جمع ما استطاع من مواد ثقافية تساهم فيما بعد في فهم ثقافة وطبيعة هذا المجتمع.

وبعبارة أخرى يمكن القول بأن التراث الشعبي هو «ذلك التتبع التفصيلي الذي يرسم لنا أبسط الأشياء اليومية لماذا لأنه نابع من الشعب نفسه» (مزياني، 2016، صفحة 18)، وتتدرج ضمنه كل الفنون والمأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية، وقصص وحكايات، وأمثال تجري على ألسنة عامة الناس، وعادات الزواج والمناسبات المختلفة، وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء، والأشكال من ألوان الرقص والألعاب والمهارات، والمأكولات الشعبية، والألبسة التقليدية والأغاني والأشعار البدوية التي تنتقل من فرد لآخر بشكل طبيعي دون الحاجة إلى تعلمها في المدارس، وقد قسم معظم الباحثين هذه العناصر الثقافية إلى أربعة أقسام هي: المعتقدات الشعبية، والعادات والتقاليد الاجتماعية الفنون الشعبية، والأدب الشعبي الذي يعدّ من أهم مواضيع التراث الشعبي، ذلك أن الكلمة المسموعة أو المكتوبة تشغل الحيز الأكبر من مواد هذا التراث، ويُعرّف الأدب الشعبي بأنه «تلك الأشكال الفنية التي ابتدعتها العقلية الشعبية المبدعة متوسلة بالكلمة للتعبير عن واقعها، وأحلامها وآمالها، ولتفسير الكون والظواهر الطبيعية والإنسانية من حولها، وذلك لنقل التراث الثقافي عبر الأجيال، حفاظا على هذا التراث الذي يعمل على تماسك الجماعة، وإكسابها هويتها الثقافية» (كمال الدين، د.ت، ص11)، ويقصد هنا بالأشكال الفنية تلك الأجناس الأدبية التي تستخدم الكلمة أداة لها والمتمثلة في: الأسطورة، والسير الشعبية، والملحمة، والحكايات الشعبية، والأغاني الشعبية والأمثال والألغاز، والحكم التي أبدعتها المخيلة الشعبية لتعبّر بها عن العاطفة والوجدان والفكر.

يتجلى التراث اللامادي في «كافة المظاهر غير المادية وغير الملموسة لمختلف تشكلات وتنويعات التراث الإنساني باعتباره الثقافي الممارس الحي والمنتقل عبر الأجيال من خلال حاملي وممارسي عناصره الأساسية» (معلا، 2017، صفحة 2)، ومن هذه المظاهر:

أ – فنون قولية: وتضم أشكال التعبير الشفوي مثل: الشعر الشعبي، والأغاني الشعبية والقصص، والأمثال والألغاز والحكم... الخ.

ب – فنون حركية: كالرقص والتمثيل والألعاب... الخ

ت – العادات والطقوس والمعتقدات والاحتفالات وما يدور فيها من سلوك، وطرق اتصال وأساليب تعامل واتصال مع القوى الخارقة.

ث – المعارف والمعتقدات: وتضم المعتقدات الدينية الشعبية، والمعتقدات بالجن والأرواح والمعتقدات حول قوى الطبيعة، والمعارف الطبية الشعبية، وغير ذلك من المعارف والمعتقدات الشعبية (كناعنة، 2011، صفحة 219)، وباختصار فإنّ هذا الصنف من التراث يتكون من عادات الناس وتقاليدهم، وما يعبرون عنه من أفكار ومشاعر يتناقلونها جيلا عن جيل.

3. نبذة تاريخية عن المنطقة :

قبل التعريف بمنطقة ترارة وجب علينا التذكير بأصل كلمة ترارة. فكلما ترارة هي كلمة عربية منسوبة إلى كلمة الأرض بالفرنسية *territoire* أو *terrancien*، وهو الإنسان الذي يمشي على قدميه (Canal, 1881, p82)، وهي ميزة الإنسان الترابي الذي يمشي كثيرا على قدميه دون الاستعانة بالدواب، وهذا رغم التضاريس الوعرة للمنطقة، فمنطقة ترارة هي عبارة عن شريط جغرافي طوله بين 110 كلم وعرضه 50 كلم ويغطي مساحة قدرها 94 كلم²، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، وشرقا وجنوبا وادي تافنة، وغربا وادي قيس.

تاريخياً كانت منطقة ترارة تضم ثمانية عروش كبيرة وهي عرش بني منير، بني خالد، وبني وارسوس، الجبال، السواحلية، زاوية الميرة، ولهافة الغرابية، وأخيراً عرش بني مسهل، وهو أكبر العروش وبعد الاحتلال الفرنسي وتطبيق قوانين (consulte senatus)، تم تقسيم القبائل إلى دوائر، ونتج عن هذا التقسيم ثلاث بلديات مختلطة وهي ندرومة، والغزوات، والرمشي.

أما حالياً فهي تتكوّن من خمسة دوائر إدارية، وهي الغزوات، ندرومة، فلاوسن، هنين، سوق الاثنين. جغرافياً تتكون منطقة ترارة من سلسلتين جبليتين متوازيتين مع الساحل، وتمتدّان من الشرق إلى الغرب : السلسلة الأولى قريبة نسبياً من شاطئ البحر تتكوّن من 7 قمم جبلية أهمّها جبل تاجرة بعلو 864 متر على مستوى سطح البحر، وجبل سيدي سفيان بعلو 857 متر، أمّا السلسلة الثانية فهي متوازية مع السلسلة الأولى، وتتكوّن من 11 قمة جبلية، أهمّها جبل ظهر الدّيس بعلو قدره 790 متر على سطح البحر وجبل فلاوسن بعلو 1157 متر. أمّا أصل سكان ترارة ففيه اختلاف وتناقض بين الدارسين لهاته المنطقة، فبعض الإثنوغرافيين العسكريين أمثال العقيد NIOX، يُرجع أصل الإنسان التّراري إلى الأصل البربري، بسبب الملامح واللغة التي تميّزهم عن المجتمعات السامية والأوروبية (Canal, 1881, p80)، خلافاً لذلك يرى كنال Canal Joseph أنّ أصل سكان ترارة يرجع إلى اليهود، وأنّ اليهود هم أوّل من استوطن المنطقة قبل المسلمين والمسيحيين، وحقته هي وجود الأولياء الصالحين ذو الأصل اليهودي بكثرة في هذه المنطقة مثل: سيدي يحيى، أو سيدي إبراهيم، سيدي موسى، سيدنا يوشع،... أو أسماء القرى المنتشرة عبر المنطقة مثل أولاد داوود، أولاد هارون، أولاد يشو... (Canal, 1881, p81)

لقد كانت قبائل "ترارة" من أعظم قبائل الدولة الموحدية حيث حاربت مع "عبد المؤمن بن علي" خليفة الموحدين في إفريقيا وإسبانيا، وفي ذلك يقول ابن خلدون : " كان

لهم كثرة موفورة، وشوكة مرهوبة، وصاروا من أعظم قبائل الموحدين... وربما كانوا رهط عبد المؤمن بن علي" (ابن خلدون، 2010، صفحة 126).

وأصبحت قبائل ترارة تحت الحكم التركي في نهاية القرن السادس عشر بعد الحكم التركي لتلمسان سنة 1551م وتحولت هذه القبائل إلى صراع مؤقت بين الأتراك وأشرف العرب (العربي، 1982، صفحة 214).

في سنة 1838م أسس الأمير عبد القادر اتحاداً يضمّ كلا من قبيلة "بني مسهل، وبني وارسوس، وبني خلاد، وبني منير" تحت قيادة خليفة الأمير عبد القادر بتلمسان (البوحميدي الولهاسي)، وذلك لمحاربة الاستعمار الفرنسي (Basset, 1901, p80)، وبهذا الصدد يشير الدكتور العربي اسماعيل إلى معركة سيدي ابراهيم قائلاً: "إن قبيلة ترارة وعدداً من بطونها وأفخاذ ثائرة قد ركزت نفسها في المثلث الذي يمتد بين الغزوات ولالة مغنية ونهر تافنة، وإنها مستعدة لتدافع بمساعدة قوة تتكون من 2000 فارساً من خيالة الأمير على مضيق "عين الكبيرة" الذي هو المدخل الطبيعي إلى جبال ترارة" (العربي، 1982، صفحة 265). ولما اندلعت الثورة التحريرية المجيدة (1954-1962) شارك أهالي المنطقة وقاوموا الاستعمار الفرنسي بالمال والرجال، وقد استعمل المعمر الفرنسي أثقل الأسلحة الفتاكة كالدبابات والطائرات، حيث قامت عدة اشتباكات مع العدو، فكانت معركة فلاوسن المشهورة (1956م)... الخ (العربي، 1982، صفحة 265).

لقد عرفت منطقة ترارة على غرار باقي المناطق الأمازيغية في ولاية تلمسان، عدّة هجرات وحملات عربية منها الهلالية التي عملت على تعريب هذه المناطق، وهذا ما أكده مصطفى أبو ضيف الذي يقول: "إن الهجرات الهلالية عملت على تعريب القبائل البربرية" (أبو ضيف، د.ت، صفحة 63).

كما عمل المرابطون في القرن الخامس والقرن السادس ميلادي على نشر الإسلام بين هذه القبائل البربرية التي انتسبت بعد إسلامها إلى العرب (أبو ضيف، د.ت، صفحة

65)، وعلى ضوء هذه المعطيات التاريخية تعرّبت هذه المنطقة بفضل التزاوج الحضاري والثقافي.

4. نماذج من الأمثال الشعبية بمنطقة ترارة

بما أن منطقة ترارة غنية بالأمثال الشعبية، فلا يسعنا ذكر كل الأمثال التي كانت متداولة في الإقليم بل سنحاول في هذه الورقة ذكر بعض النماذج التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعبادات ومجتمع الغرب الجزائري، حيث اعترف الأكاديميون الفرنسيون بأصالة الموروث الشفهي في منطقة تلمسان، إذ يُنثي روني باسي (René BASSET) على تلميذه السيد بيل (Bell) مدير مدرسة تلمسان ومحمد بن شنب معلم بمدرسة الجزائر اللذان قدما له عدد كبير من الوثائق اعتمد عليها لكتابة مقاله (BASSET, 1905, p23)

إن الأمثال الشعبية بمنطقة ترارة مثلها مثل سائر الأمثال الشعبية الجزائرية، لم تترك جانبا من جوانب حياة الناس إلا وتقصته وأدركته، ثم عبّرت بما يدلّ عليه من خلال خلاصات لتجارب أو تجربة أثبتت قدرتها على التعبير من خلال أنموذج المثل في بعده الدلالي والمعرفي، فكل حادثة إن تكررت في أبعادها ونتائجها؛ فإنها تتمخض عن استنتاجات نتائج؛ ولأجله تعددت الأمثال لوجود ما يدل على أنساق توجيهية وتربوية وأخلاقية واجتماعية وسياسية ودينية... وفق ما يجيب عن الظروف والأحوال، وقد تمحورت هذه الأمثال وفق هذه الرؤى التي تتحكم في المجتمع من أسرية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية ودينية، ومن الأمثال الشعبية التي جُمعت من أفواه العجائز والشيوخ وبلهجتها المحليّة مركّزين فيها على جوانب متعدّدة :

1.4 الجانب الاجتماعي :

يتميّز المجتمع الترابي بمظاهر شتى تحكمها العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية التي يفرضها العرق، والذي نجد معظم الأسر لازالت تحافظ عليه في مناسباتها ومعاملاتها وعاداتها وتقاليدها.

- يصور لنا هذا الجانب بعض العلاقات القائمة داخل أبناء هذه المنطقة في حياتهم الاجتماعية كالزواج، الافتخار والشقاء، والسعادة، ومن بين هذه الأمثال :
- ((بَعْدَ اتَّحِبِّبَ لَحَطْبُ))، هذا المثل يدعو إلى الزواج من خارج المنطقة، حيث نجده يقال عندما يتزوج الرجل بامرأة غير صالحة من المنطقة، ولهذا كثيرا ما تكون نصيحتهم في الأمثال الزواج بالبعيد لكي تقل فيه معاشره الأنساب.
 - ((اخْتَارَ الْجَارُ قَبْلَ آدَارِ))، يحث هذا المثل على أن يختار الإنسان جاره، ويسأل عنه قبل أن يبني أو يشتري المنزل أمامه أو بجانبه حتى لا يقع معه في صراع دائم.
 - ((يَدُ وَحْدَةَ مَا تَصْفَقُ))، يحث هذا المثل على التعاون والتآزر في جميع مناحي الحياة، بحيث أن الإنسان بمفرده لا يستطيع أن يفعل أي شيء بدون مساعدة، فبال تعاون تتحقق الأهداف الكبرى للأفراد والجماعات، وذلك ما يدعوننا إليه الشرع الحنيف، كما أنه لا يمكننا فعل شيء دون اليدين، والتصفيق هنا رمز للتعاون، فالتعاون والتآزر هو سمة المجتمع الجزائري عامة، والمجتمع الترابي بصفة خاصة.
 - ((مَا يَنْزَوُّجُوا حَتَّى يَنْشَابَهُوا))، إن المقصود من هذا المثل هو أن الرجل وزوجته تجمعهما صفات نفسية وعقلية ومزاجية متشابهة، فالزوجة تشبه زوجها والعكس صحيح.
 - ((مَا يُعْجَبُكَ نَوَّارِ الدَّفْلَى فَالْوَادِ دَائِرِ الظَّلَائِلِ، وَ مَا يُعْجَبُكَ زَيْنِ الطَّفَلَةِ حَتَّى اتَّشَوْفَ لَفْعَائِلِ))، فالجمال جمال الروح وليس جمال الجسد، فالأخير (جمال الجسد) يذهب ويتلاشى مع مرور الزمن، أما جمال الروح فيبقى بقاء الحياة، فهذا المثل يُضرب للرجل الذي يرغب بالزواج بأن لا ينخدع بجمال المرأة الخارجي.
- فالزواج له بعد أنثروبولوجي ثقافي يتجسد في اختيار الزوجة وكذا إلى اتخاذ المقاييس اللازمة لاختيار شريك الحياة أساسها الوازع الديني والأخلاقي على حساب الجانب الجمالي؛ لأن الزوجة هي أساس البيت والركيزة المتينة والمهمّة في تكوين الأسرة.

- ((الزَيْنَ يَتَمَسَّى وَيَتَكَمَّشُ، وَالْقَبِيحُ يَتَمَسَّى وَيَتَفَلَّشُ))، يُطلق هذا المثل على صنفين من النساء، الصنف الأول يمتاز بصفات جميلة وبخصائص حميدة يستحيون في مشيتهم، أما الصنف الآخر القبيح، فيتبختر بمظهره وفي مشيته، ويفتخر بما يملك.
 - ((اللُّوسَةُ سَتُوتَةٌ وَأُمُّهَا عَقْرَبٌ))، (اللُّوسَةُ أَي أخت الزوج)، يبين هذا المثل المعاناة التي يعانيتها الزوج من أخته وكذا أمه مع زوجته، حيث تكثر النزاعات بين أخت العريس وزوجته، ثم تتدخل أم العريس لتناصر ابنتها، وتؤدي زوجة ابنها.
- يتبادر إلى الذهن هذا التناقض الحاصل، بين حب القرابة، وكراهيتها في الوقت نفسه من طرف شعب مجتمع واحد، والحقيقة أن هذا التناقض في الأمثال ما هو إلا اتفاق طبيعي؛ لأن صورة المجتمع الجزائري ليست واحدة بل تتعدد الحالات والتجارب وتختلف السلوكات وتتناقض بذلك الأمثال، فلو اقتصرنا الأمثال على جزء الخير فلن تعكس الصورة الحقيقية التي تريد كشفها، بل هي تراكم لصور الحياة الاجتماعية المختلفة بكل تنوعاتها واختلافاتها.

2.4 الجانب الأخلاقي :

- يصور لنا هذا الجانب أهم السلوكات التي تصدر من طرف هذه الطبقة الشعبية، والتي من بينها الأمانة، والاستقامة، وبعض الصفات الأخرى.
- ((مَا أَتَخَمَّ فِي عَيُوبِ النَّاسِ حَتَّى أَتَخَمَّ فَعَيُوبُكَ))، ينصحننا هذا المثل بالنظر إلى أعمالنا وأفعالنا، وكذا الاهتمام بتصحيح عيوبنا قبل أن ننظر إلى عيوب الآخرين.
 - ((أَبْنَاتُ الرَّجَالِ عِنْدَ الرَّجَالِ أَمَانَةٌ))، يضرب هذا المثل في المعاملة بين الرجل وزوجته حيث يدعو الرجل إلى احترام المرأة الزوجة والحفاظ عليها كأمانة أودعت لديه، فالمرأة زوجها لك أبوها، فهي أمانة في عنقك، فعليك أن تحافظ عليها.
- من بين المواضيع الاجتماعية الأخلاقية التي انطوت عليها الأمثال الشعبية الوفاء والخيانة، حيث اعتبرنا خصلتان مهمتان في المجتمع، فالوفاء في بعده الأنثروبولوجي

يستلزم القيم السامية والمثلى للإنسان، فمن فقدَّ عنده الوفاء فقد انسلخ من قيمه وإنسانيته، وقد جعل الله الوفاء قواماً لصلاح أمور الناس، وقد حدثنا الله على هذه الصفة في القرآن الكريم في قوله تعالى: "يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ" (سورة المائدة، الآية 1)، فهذا السلوك الفردي والاجتماعي هو في حقيقة الأمر من أخلاق الإسلام، ومن الأخلاق الجلييلة التي أوصانا وحثنا الله عليها، وفاء يزرع الحبَّ والسعادة بين أفراد المجتمع الواحد، عكس الخيانة التي تنتشر العداوة والحقد والبغضاء فهي من شرِّ الأمور لقوله تعالى: "يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا ءَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (سورة الأنفال، الآية 27).

3.4 الجانب الاقتصادي :

يتطرق المثل في هذا الجانب إلى أهم القيم والممارسات الاقتصادية السائدة بهذه المنطقة، وكذا بعض السلوكات التي تظهر أثناء القيام ببعض الأنشطة الاقتصادية.

- ((أَخْطَاكَ الْغَرَسُ فَمَارَسْ))، إن هذا المثل يبيِّن فترة الغرس التي يجب ألا تتجاوز شهر مارس، والذي فاتته الغرس في هذا الشهر فإنه لا يغرس لأنه إذا غرس لا ينمو غرسه، كما يطلق هذا المثل على بعض الحالات الأخرى كفوات الفائدة، كأن يتحدث إنسان مع أشخاص وعندما ينتهي من كلامه يسأله أحدهم ما ذا كنت تقول، فيردَّ عليه المتحدث بهذا المثل.
- ((مَا تَحَرَّتْشْ لِرْضِ الْمَعْلَقَةِ، وَمَا تَرَوَّشْ لِمَرَا الْمَطْلَقَةِ))، يقَدِّم هذا المثل نصائح زراعية واجتماعية، فحرث الأرض المعلقة لا يعطي منتوجا كثيرا، حتى وإن أعطت فهي صعبة كالمرأة المطلقة.
- ((وَاحِدْ يَأْكُلُ لِقَوْلٍ وَخُورٌ يَنْتَفِخُ فِيهِ))، يطلق هذا المثل على التجاوزات والانتهاكات التي تحدث نتيجة أخطاء أو عدم معرفة، أو بغية إلحاق الضرر بالآخر، وذلك بالصاق تهمة به لم يقم هو بفعلها.

• ((دَخَلْتُ يَأْكُلُ لَفْرِيكَ أَطْحَالِي شْرِيكَ))، أي (أضحى لي شريك) بإبدال صوت الضاد طاء كميزة من مميّزات لهجة ترارة. يتحدث هذا المثل هنا عن الشراكة ومشاكلها، حيث نجد صاحب الملكية يشرك بعض الناس معه في العمل، إلا أن صاحب الشريك يحدث مشاكل للإنسان الذي أشركه معه، والأمثلة متعدّدة ومتنوعة اقتصرنا على بعضها قصر التمثيل لا الحصر.

بعد تتبعنا واستقصائنا للأمثال الشعبية الجزائرية، تبين أن الفرد الجزائري ارتبط دوره بالنشاط الفلاحي، يظهر ذلك في علاقته الوطيدة بالأرض والاعتناء بها وخدمتها، وجني ثمارها وقوتها، فجاءت الأمثال الشعبية لتكشف تلك المعاني والدلالات الراسخة التي تكشف تلك العلاقة القائمة بين الإنسان والأرض، فلامح الأنثروبولوجيا في هذا المظهر تجلّت في ارتباط الفلاح بأرضه ارتباطاً وثيقاً، فهو يحبّ أرضه حباً صادقاً فيخدمها لتعطيه هي الأخرى من خيراتها وثرواتها، وهنا أيضاً يظهر ملمح الأنثروبولوجيا الاقتصادية والاجتماعية، وهو المال، فالمثل الشعبي حاول جاهداً أن ينظر ويتطرق إلى الحياة الفلاحية والزراعية وعلاقتها بالإنسان.

إن الأمثال الشعبية بهذه المنطقة تمتاز بلهجة محلية تزاوجت فيها الأمازيغية والعربية، حيث نجدها تبدأ بالهمزة المنطوقة، وهي خاصية من خصائص اللهجة البربرية، كما تمتاز كذلك بالإيجاز، وفي هذا الإطار يقول عبد الملك مرتاض: "إن خاصيتها الأساسية هي الإيجاز، فهي قليلة اللفظ كثيرة المعاني، وهي تحتوي على نمط من الأخلاق وعلى فن الحياة" (مرتاض، 1982، صفحة 5)، كما تعبّر الأمثال الشعبية في المنطقة عن تقلبات الحياة وطبائع الأفراد وسلوكاتهم في مختلف المواقف، وذلك بأسلوب أدبي وفني يتميز بالإيجاز وجرس موسيقي، مما يطرب النفس ويهزها فرحاً أو حزناً من خلال الألفاظ والصور الموظفة، فهي تعرف تداولاً واسعاً في الأوساط الاجتماعية بالمقارنة مع باقي أشكال الأدب الشعبي من قصص وأساطير، الحكايات

والألغاز. فالأمثال الشعبية دائما ما توصف أنها خبرة الشعوب المتراكمة، دائما ما كون المثل الشعبي الشفهي الغير مكتوب يعبر عن خبرة الشعب والطبقات الشعبية التي تعتبر وتمثل أصول البلد التي تنتمي لها، وكثيرا ما تعبر عن الحياة والأمل بل وعن المواقف التي يمر بها الإنسان سواء كانت إيجابية أو سلبية وغيرها.

5. خاتمة:

التراث تاريخ الأمم وهويتها، والأمة بلا تراث لا تاريخ لها، فهو الذي يحفظ ذاكرتها وماضيها، وهو الذي يحدّد وجودها من عدمه، وهو الذي يدفعها إلى التطور والتقدّم، لذلك وجب علينا المحافظة عليه والاهتمام به عن طريق جمعه من الميدان ودراسته وفق أسس علمية دقيقة

إن ما يميز حياتنا هو البنية التحتية التي يرتكز عليها فكر الإنسان، فمختلف الشواهد التي تجعلنا نعيش الماضي ممتدّاً في الحاضر، إنه التراث الذي يبرز إطار الممارسة الشعبية التي هي مكبوتة في لا وعينا، وملازمته للحياة الجمعية، وحضوره الدائم في الواقع الذي يرسّخ الهوية، ويعبر عن نمطية التفكير، فالتراث اللامادي مادة حية يعبر عنه بشكل عفوي من خلال الطقوس الممارسة، ما يبرز أن جذوره ضاربة في أعماق الشعوب، فالتراث الشفوي المروي بمنطقة ترارة يعبر عن خصوصيتها الثقافية والاجتماعية، ويتخذ أسلوبا من ثنائها، فالتراث هو تحقيق وجودنا.

إن المنتج الثقافي والاجتماعي يعكس ما تتميز به منطقة ترارة من خصوصيات تعبر عن هويتها وتظهر بها مختلف المقومات الاجتماعية للموروث الشعبي، وذلك من خلال المظاهر والممارسات المعبرة عن التمسك بالخصوصية الثقافية والتراث الأصيل، فأهالي وأسر منطقة ترارة بقدر انفتاحهم على مقومات الحياة الحديثة وانخراطهم فيها، يظهر تمسكهم بعناصر الأصالة، وحفاظهم على مقومات الانتماء إلى تراث لامادي حافل بمظاهر التميز والخصوصية، والأمثال الشعبية ما هي إلا صورة مصغرة لبعض القيم

والأعراف التي كانت معروفة بالمنطقة ولا تزال، كاختيار الجار، وتجنب الزواج بالمرأة المطلقة، وعدم النظر إلى عيوب الآخرين وغيرها من الأعراف والقيم الاجتماعية، وهم بذلك يساهمون في تعزيز هويتهم الثقافية، بل إلى تحصينها من الاندثار والزوال أو التثوّه في وجه العولمة الثقافية التي تهدف إلى اغتيال الهويات المحلية، فمحافظتهم على الرصيد التراثي والثقافي عبر ترسيخه في الذاكرة الجمعية، والتعريف به من خلال وظائف أعمق ومدلول أبعد تمثل في الحفاظ على الذاكرة الجمعية، ومقومات الانتماء الثقافي عبر إحياء هذه الممارسات التي تعبّر عن خصوصية المنطقة، وتعتبر ثقافة متأصلة لدى سكان ترارة، ومظهراً من الممارسات المعتادة في المناسبات وغيرها، وبالتالي إثراء هذا المخزون التراثي الشعبي.

6. قائمة المراجع:

- ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب مادة (ورث). مج 2، دار صادر، بيروت.
- أبو ضيف، مصطفى. (د.ت). القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبنو مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- الجهري، محمد. (2006). مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، ط1، مكتبة الأسرة.
- العربي، اسماعيل. (1982). المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- العوادي، حمود. (1981). التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية؛ دراسة تطبيقية عن المجتمع الليبي، ط2، عالم الكتب، القاهرة.
- عباس إبراهيم محمد. (2009). الثقافة الشعبية؛ الثبات والتغير، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
- كناينة، شريف. (2011). دراسات في الثقافة والتراث والهوية، ناديا للطباعة والنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين.
- مرتاض، عبد المالك. (1982). دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- مزياني، أسهمان. (2016). التراث الشعبي في رواية "سيدة الخراب" لكمال قرور. مذكرة ماستر، تخصص: أدب حديث ومعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

- وتار، محمد رياض .(2002). *توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.
- ابن خلدون، عبد الرحمن .(2010). *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*، ج6، دار الفكر، بيروت.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا . (د.ت). *معجم مقاييس اللغة*، مادة (ورث)، تح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- جبور، عبد النور .(1984). *المعجم الأدبي*، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- سيد علي، اسماعيل .(2000). *أثر التراث العربي في المسرح المعاصر*، دار قباء، القاهرة، دار المرجاح، الكويت.
- كمال الدين، حسين (د.ت). *دراسات في الأدب الشعبي*، كلية رياض الأطفال، جامعة القاهرة.
- معلا، طلال .(2017). *التراث الثقافي غير المادي؛ تراث الشعوب الحي*، مجلة أوراق دمشق، ع4، ص 2-14:

<http://www.dcrs.sy/sites/default/files/Upload/pdf.التراثالثقافي>

BASSET, R. (1905). *La légende de Bent el Khass* . revue Africaine(n° 49).

Basset, R. (1901). *Nedroma et les Traras*. Ernest Leroux, Paris.

Canal , J. (1881). *Monographie de l'arrondissement de Tlemcen ,in chapitre 3*,. B.S.G.A.O.